جامعة إفريقيا العالمية
السودان - الخرطوم

ملتقى الجامعات الإفريقية

التداخل والتواصل في إفريقيا

أوراق المؤتمر العلمي

الكتاب الأول

الخرطوم - يناير 2006

جامعة أفريقيا العالمية

الخرطوم – السودان

ملتقى الجامعات الآفريقية

التداخل والتواصل فى أفريقيا

أوراق المؤتمر العلمى

الكتاب الأول

يناير ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة إفريقيا العالمية

مؤتمر التداخل والتواصل في إفريقيا

تضم صفحات هذا الملف الأوراق المقدمة لملتقي الجامعات الإفريقي، نشاط الندوة العلمية الذي يجئ تحت شعار التواصل والتداخل في إفريقيا ، ويهدف الملتقي إلي تعزيز روابط التواصل بين الجامعات الإفريقية ممثلة في الإدارات وهيئات التدريس والطلاب ، عسي إن يسهم في ذلك في إبراز حركة التواصل الروحي والفكري والسياسي والإجتماعي ،وإشاعة الوعي بالواقع الإفريقي وتبادل الخبرات لإيجاد مقدمات لرؤية مشتركة لحل مشكلات القارة.

ومن المآمول أن يؤدي ذلك لتعارف وتواصل الجامعات الإفريقية واكتشاف الجامعات لأفضل الطرق لافرقة الجامعات ، حتي تعود تنطق باسم القارة كما يسعى الملتقي لتوحيد العقل الإفريقي وإيجاد القاسم المشترك النابع من الحوار الإفريقي – الإفريقي، والتعاون الإفريقي- الإفريقي، وفتح قنوات التواصل بين الأفارقة.

ويضم هذا الملف الأول البحوث التي وصلت حسي المواعيد مما مكن من ترجمتها وطباعتها في هذا الملف، ونآمل أن نتمكن من تغطية كل البحوث الواردة في المؤتمر.

مع الشكر،،

إدارة الندوة

♣

أحمدو لوبو وحركته الإصلاحية فى ماسينا

ا.د عبدالله عبد الرازق

من أبرز حركات الجهاد الإسلامى التى قامت فى غرب إفريقيا فى القرن التاسع عشر تلك الحركة التى قادها الشيخ أحمد ولوبو فى منطقة ماسينا، وهى المنطقة التى ستصبح قلبا لخلافة إسلامية تتأثر بالحركات الإصلاحية ودعوات الجهاد فى المنطقة المجاورة . وقد ارتكزت الحركة على دلتا نهر النيجر الداخلية وامتدت الى مدينة تمبكت فى الشمال ، وسيطرت الخلافة على منطقة يسود فيها عنصر الفولبى (Pulo) الذى لعب دوراً فى نشر الدين الإسلامى فى تلك المنطقة فى غرب إفريقيا .

لكن هذه المنطقة كانت تموج بالعديد من الصراعات السياسية بين مختلف القوى التى تحاول كل منها أن تؤكد وجودها وسيطرتها على بقية الجماعات المتواجدة على الساحة السياسية وكان على مؤسس هذه الخلافة أن يتعايش سلبيا مع بعض الجماعات ، وأن يضم جماعات أخرى الى حركته ، وأن يدخل فى حروب مستمرة مع بعض القبائل التى عارضت الدعوة من الوثنيين . ومن ثم فإن جهاد الشيخ أحمدو وصار متميزاً عن حركات الجهاد الأخرى ، لأن المنطقة التى أعلن فيها قيام جركته كانت أشد المناطق كثافة بالسكان فى غرب القارة ، ولم يكن هؤلاء السكان من أصول جنسية واحدة ، ورغم أنه كان من عنصر الجيش الفولانى – أقوى العناصر فى السودان الغربى – إلا أنه كان يعانى من منافسة أجناس أخرى استطاعت أن تحتل مكانة كبرى فى المجال السياسى قبل قيام دعوة الشيخ أحمدو لوبو . ومن هنا لابد من إلقاء نظرة على أهم الجماعات التى نافست الشيخ حتى ندرك عمق وجهاد وعظمة الدور الذى قام به فى المنطقة .

وسوف نحاول إلقاء الضوء على هذه الفترة من تاريخ غرب إفريقيا من خلال جهود هذه الجماعة المخلصة التى كرست حياتها لخدمة الإسلام والمسلمين، وأدت دوراً هاما فى نشر الإسلام فى منطقة اتسمت بالطابع الوثنى ، وظهور العديد من الأفكار والطرق الصوفية ، فكان جهاد الشيخ أحمدو نموذجاً فريداً حقق به الاستقرار ، وبسط لواء الدين الإسلامي ، ونشر اللغة العربية ،

وجعل من العلماء ورجال الدين طبقة متميزة في الحياة السياسية والاجتماعية في خلافته ، ورغم أن الخلافة لم تعمر طويلا ، إلا أن الأثر الذى تركته كان عميقا، وكان الجهاد قويا استطاع أن يحول جماعات كثيرة من الوثنيين إلى الدين الإسلامى الحنيف فكانت ثورة على التقاليد البالية، وثورة على الجماعات الوثنية، وثورة ضد الحكام الذين سيطروا على مقدرات المنطقة وسيروها حسب أهوائهم، ولولا أن تحالف قوى كثيرة ضد حركة جهاد الشيح أحمدو لوبو وأبنائه لكان لهذه الدعوة آثار أكثر إيجابية وأعظم نفعا للمسلمين فى غرب أفريقيا . وسوف نحاول دراسة هذه الدعوة للجهاد ودور زعيمها الدينى والسياسى والعقبات التى واجهته، والقوى المحلية المؤثرة فى سير الأحداث وتحديد الإطار العام لهذا الجهاد الإسلامى .

وسوف نحاول فى هذا البحث دراسة المحاور التالية

أولا : الجماعات التى لعبت دوراً فى الإصلاح .

ثانيا : ظهور مؤسس الحركة الإصلاحية .

ثالثا : إعلان الجهاد الإسلامى والإصلاح .

رابعا : علاقة الشيخ مع القوى المجاورة .

خامسا : نظام الحكم فى الخلافة .

سادسا : القضاء على حركة الجهاد فى ماسينا .

اولا : الجماعات التي لعبت دوراً في الإصلاح

رغم أن قبائل الفولاني ينتمي إليها الشيخ أحمدو لوبو هي اكثر الجماعات عددا في خلافة ماسينا ، الإ أن بعض القبائل نافستها طوال فترة بقائها، ولا يمكن أن نفهم دور هذا المجاهد الإسلامي دون أن نتعرض لهذه الجماعات بشكل مفصل :

اولا: جماعات البمبارا

إذا كان وادي نهر السنغال هو مركز الوصل بين غرب إفريقيا والعالم الإسلامي فإن منطقة النيجر الأوسط هي قلب الازدهار الإسلامي في القارة الافريقية جنوب الصحراء ، وحيث صارت هذه المنطقة واحدة من كل الإمبراطوريات الكبري في العصور الوسطي ، وكانت قلب مملكة صنغي آخر الإمبراطوريات التي قامت هناك وازدهرت مدنها واشتهر علماؤها ورجال القانون بها وصارت منارة العلم وكعبة العلماء في غرب افريقيا . ولكن هذه

الأيام الزاهرة وتلك الإمبراطورية العامرة لم يكتب لها البقاء طويلا ، وجاءت نهايتها علي أيدي جماعة مفاجئة قامت بغزوها من الشمال في عام ١٥١٩م عندما شن الجيش المراكشي بقيادة جودار باشا حملة قاسية علي المنطقة وهزم إمبراطورية صنغي في معركة تونديبو ، وسيطر المراكشيون بعدها علي المدن الزاهرة في تمبكت وجني وجاو وللأسف فشل الغزو المراكشي في السيطرة علي البلاد ، كما أخفق في فرض السلام ، وعجز عن بسط لواء الأمن ،بل وترك المنطقة خرابا بلقعاً بعد أن كانت من اكثر المراكز الحضارية وازدهار وانتعاشا. لما حاولت الشعوب التابعة لإمبراطورية صنغي تأكيد استقلالها والدفاع عن حضارتها تعرضت المنطقة لظهور دويلات جديدة ، وبرزت إلي الساحة شعوب وثنية حاولت أن تنافس القوي الأخري طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر، واختلفت الصورة وتغيرت ملامح المنطقة وحلت دول محل إمبراطوريات عريقة، وصارت وضع المنطقة حرجا فالصراعات محتدمة والأمور مضطربة والخلافات بين مختلف الجماعات تأخذ اشكالا والوانا من التطاحن والتناحر .(٤) وظهر في هذا الجو المشحون بالخلافات جماعة من شعوب الماندي أطلق المؤرخون عليها لقب البمبارا (Bambara) وهو إصلاح يعني الوثني . (٥) اصطلاح الماندي هو اصطلاح لغوي وأقسامه هم الماندنكا والبمبارا والديولا والسوتنكي والكاسونك والبوزو ، ويتحدث الماند نكا والبمبارا والديولا نفس اللغة ولهم نفس أنماط التنظيم الاجتماعي لكنهم يختلفون من حيث العادات والتقاليد وايضا الدين ، فبينما يعتبر البمبارا من الوثنيين ، فإن الماندنكا شبه مسلمين ، وأما الديولا فهم جميعا مسلمون ، ولقد ظل الماندنكا لقرون طويلة يعيشون في المنطقة بين النيجر والمحيط الأطلسي ، ورغم اعتناق سكان مالي للدين الإسلامي ، فإن الرعاة ظلوا علي ولائهم للديانات المحلية.

وكان الغزاة المراكشيون قد سيطروا علي المدن الرئسية في امبراطورية صنغي لكنهم فشلوا في ممارسة أي نوع من الاستقرار ، لأنهم دمروا هيكل الإمبراطورية ووجهوا ضربة قاصمة إلي التجارة المزدهرة والتي كانت السبب الرئيسي في ازدهار صنغي والممالك السابقة في المنطقة . وبالتدريج صارت طبقة الحكام من الجيش المراكشي (الأرما) بعيدة عن مراكزها الرئسية في المراكش ، بل وانقطعت الاتصالات المباشرة مع سلطان المغرب ، ومن الطبيعي أن تذوب هذه الطبقة في المجتمع الجديد وتتزواج معه ويصبح دورها

محدودا ، وهو الأمر الذي جعل مجموعة من عشائر البمبارا تنتهز الفرصة لتمارس سلطاتها وتؤكد سيادتها علي المناطق الريفية . (٦)

وفي بداية الأمر حدث التعاون بين الفولبي في ماسينا وهذه الجماعات ووجهت حملاتها ضد المراكشيين في جنبي ، لكن التحالف كان قصير الأجل نظرا لأن المراكشيين سيطروا علي الفولبي مما جعل البمبارا ينقلبون عليهم وينهبون معسكراتهم وتحول البمبارا من جماعات عسكرية من المحاربين المحترفين إلي عناصرأساسية تسعي لبناء دولة اعتمادا علي شخصيتهم العسكرية بالدرجة الأولي وعلي نظام هرمي في الحكم . وتطورت جماعات البمبارا وصارت أقوي العناصر السياسية في المنطقة ، وهاجر عنصر منهم غربا واستقر في منطقة (كارتا) التي تقع مابين وادي السنغال والنيجر ، وأطلق علي هذا الفرع من البمبارا لقب بمبارا ماساسي (Bambara Massassi) (٧)

وتركز نشاط البمبارا الأساسي نحو العداء للدين الإسلامي حيث عارضوا كل محاولات نشر العقيدة ، ووقفوا ضد المسلمين في السودان الغربي ، بل وتحالف البمبارا مع كل الجماعات التي عارضت حركات الجهاد الثورية الإسلامية ، وقد وقف البمبارا مع الفولبي في ماسينا ضد جهاد الحاج عمر الفوتي التكروري.(٨)

بل لقد وصل الأمر بهذه الجماعات الوثنية إلي انضام عدد كبير منهم إلي الجيش الفرنسي الاستعماري ، علي أمل أن يساعدهم هذا التحالف الأوروبي في الحفاظ علي مصالحهم العشائرية . وفي جميع الحالات ارتبط مصير البمبارا بالفولبي والتوكولور في المنطقة ، وصاروا عنصراً أساسيا من عناصر الصراع بها في القرن التاسع عشر .

ودخل هذا الفرع من البمبارا في صراعات مع السلطة الحاكمة في سيجو لكنهم فشلوا في تكوين هيكل سياسي قوي ، لأنهم عاشوا حياتهم السابقة كقواد عسكريين ، مما جعلهم يفشلون في بناء حكومة مركزية ثابتة ، وظلوا كذلك حتي جاء الغزو الحاج عمر الفوتي ،ودخل نيرو عاصمة كارتا عام ١٨٥٤ ثم سيجو عام ١٨٦١ وقضي علي هذه الجماعات الوثنية (٩)

ثانياً : جماعات العلماء ورجال الدين

في الوقت الذي كانت جماعة الديكو تتناقص في إعدادها ، وكانت جماعة العلماء تزداد نموا وتتكاثر عدداً يوماً بعد يوم بين جماعات الفولبي ، وقد استخدم

اصطلاح المرابط ليعني كل شخص حصل علي قدر معقول من الثقافة العربية مع دراية واسعة بشئون الدين الإسلامي .

وعندما أعلن الشيخ أحمدو جهاده في أوائل القرن التاسع عشر كان عدد العلماء من بين الفولبي قليلا ، وقد انتقد علماء الطريقة البكائية علماء حمد الله لأن التعليم الديني كان محدوداً بينهم ، حتي أن الشيخ أحمد نفسه لم يؤلف إلا كتاباً واحداً فقط (١٠) . وقد برز من العلماء في هذه الخلافة وحقق شهرة العالمان سيدي المختار وديعة الله والألفا بن الطاهر ، وهما أصلا من شيوخ الطريقة البكائية . (١١)

وكان العلماء يندرجون في عدد من الوظائف ، وكانت أدني الدرجات جماعات السحرة ، ورجال الطب الذين اشتهروا في هذا المجال ودرسوا بعض الأعمال الوثنية خصوصا في مدينة ديا (Dya) التي نالت شهرة عظيمة في مجال السحر قبل دخولها في الدين الإسلامي . كما كانت مدينة جني الإسلامية تمارس هذا النوع من السحر ، وتنافست مع ديا وبذو (Bozo) في هذه الأعمال الشعبية ، والتي أثرت بشكل كبير في المجتمع السوداني الغربي وكانت مثار نقد صارخ من طبقات العلماء والاسرة الحاكمة.(١٢)

وإلي جانب السحر كان يوجد معلمو القرآن الكريم ، الذين يقومون بتدريس مبادئ العقيدة الإسلامية ، وطريقة أداء الفرائض ، وقد استقر عدد كبير منهم في مجتمعات مستقرة بعد أن كانوا يتجولون من مكان لآخر .

أما العلماء من ذوي الخبرة والثقافة الواسعة فإنهم لم يمارسوا هذه الأعمال البسيطة . وكرسوا حياتهم للدراسة والنقد والتحليل ودراسة الفقه والحديث والتفسير . وكان هؤلاء العلماء مكانة اجتماعية وحصلوا علي مصادر متنوعة للرزق وارتفعت مكانتهم وقامت بعض الأسر من العلماء في مجتمعات غرب إفريقيا .

وقام بعض العلماء بدور ائمة المساجد في النيجر ، كما كانوا يقومون بالأعمال الدينية المطلوبة مثل التدريس في المدارس أو لدي الأسر الكبيرة ، وقد شارك هؤلاء العلماء في تعليم اللغة العربية ، كما قاموا بدور الكتبة والوسطاء في الأعمال التجارية . وقام العلماء بدور المستشارين ، كما لعبوا دوراً في تشكيل التقاليد الوطنية وفي بداية القرن التاسع عشر صاروا دعاة الثورة الإصلاحية والجهاد الإسلامي في منطقة ماسينا .

ثالثا : جماعات الفولبي

لقد استفاد الفولبي في ماسينا من الغزو المراكشي لإمبراطورية صنغي، وكانوا قد بدءوا التجول والترحال في المنطقة كرعاة مسالمين يدفعون الضرائب للحكام الذين يسيطرون علي مناطق الرعي ، وقاوموا كل التنظيمات الحاكمة التي حاولت فرض السيادة عليهم . وفي القرن التاسع عشر حدثت هجرتان كبيرتان لجماعات الفولبي إلي ماسينا ، وقد ساعدت هذه الهجرات علي انتشار الفولبي في فوتاتورو وفوتاجالون وصار أساساً لقيام دولة الإسلامية هناك في القرن الثامن عشر ، اما الفولبي الذين واصلوا العيش في ماسينا ، فقد قاسوا كثيراً تحت سيطرة البمبارا في سيجو ، وفي عام ١٧٢٥م سقطت مدينة جني تحت سيادة البمبارا في سيجو واضطرت المناطق المجاورة إلي دفع جزية لهؤلاء الحكام الجدد ، ولكن حافظ الفولبي علي قدر معقول من السلطة ، ولكنهم ظلوا علي وثنيتهم حتي جاء القرن التاسع عشر الذي شهد تحول عدد كبير منهم إلي الدين الإسلامي ، وبظهور الشيخ أحمد لوبو الذي قاد الجهاد ولعب دوراً فعالا في جهاد المسلمين في منطقة ماسينا بعد أن اتخذ من مدينة حمد الله مقراً له. (١٣)

ولقد حاول الفولبي بعد ظهور الشيخ أحمدو الاستقرار في المناطق التي سيطروا عليها علي حدود النيجر ونهر باني ، وبذلوا مافي وسعهم للقضاء علي منافسة الرعاة من الطوارق وغارات البمبارا المتجولين ، وحاول حكام ماسينا وضع حد للغزوات الدائمة من عناصر غير الفولبي ، ودخلوا في صراع مع الطوارق من اجل استبعادهم عن الاستقرار الدائم أو شبة الدائم في مناطق حمد لله ، وكانت معركة ندوكوي (Ndukkway) قد قضت علي الجزء الأكبر من تحالف الطوارق الذي تفرق بين مختلف القري ومدن ماسينا ، واندمج بعضهم مع الشعب الفولبي . (١٤)

وعاش مجتمع الفولبي بعيداً عن المجتمع عن الجماعات الأخري ، وكان علماؤهم يتفاخرون بتاريخهم ولغاتهم وملابسهم وصفاتهم الجسمانية ، وغير ذلك من الخصائص الثقافية وانقسمت العشائر الكبري للفولبي إلي أربعة أقسام هي : الديالو

- (Diallo) ،والدياشيت والسنجار(singara)، والسديديب ، وأهم الجماعات التي ظهرت بين الفولبي مجموعة العشائر العسكرية التي اطلق عليها الديكو

(Dikko) أي الجماعات التي ظهرت في فترة قيام دولة مالي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر كنوع من الفروسية التي استخدمتها السلطات الحاكمة في مالي على الحدود لمقاومة غزوات المراكشيين او بدو الصحراء وصارت هذه الجماعة تتمتع بنفوذ سياسي يفوق العشائر الأخرى ، وقد استخدمهم حكام جاو(Gao)لجمع الضرائب او لفرض السيطرة على الفولبي وسكان منطقة منحنى النيجر .

قد استطاع الديكو الإغارة علي سكان النيجر خلال القرن السابع عشر . وفي القرن الثامن عشر حدث تحالف بين اليكو وجماعات الديارا ( ) DIARRA التي استولت علي السلطة في سيجو ، وحقق الديارا نوعا من الاستقرار والرخاء في منطقة منحني النيجر ، ولعب الديكو دوراً هاما في هذه العملية ، حيث جمعوا الضرائب من مناطق الفولبي وحافظوا علي الأمن ، وقاموا بغارات مع جيش سيجو وتزاوجوا مع الديارا ، وصار للديكو مكان السيادة بين الفولبي ، واحتفظوا بمكانتهم الاجتماعية نتيجة الدور الذي لعبوه تحت سلطان جاو ، بل وطوروا نوعا جديداً من الفروسية ،مما جعلهم مثار حقد الطبقات الأخري.(١٥) لكن هذه الجماعة برغم اعتناقها الدين الإسلامي ، الإ أنها لم تهتم بتطبق الشريعة، لم تحافظ علي التقاليد الإسلامية بين شعوبها ، وكانت تغير علي العشائر الأخري وتجني منها الضرائب دون تميز بين الفولبي والجماعات المستبدة للسكان والذين فرضوا حياة قاسية علي الفئات الأخري ، ومن ثم ظهرت الكراهية العامة ضد الديكو.

وحاولت هذه العشائر الاندماج مع العشائر الأخري ، لكنها تعرضت لهزات عنيفة أثناء الحروب في القرن الثامن عشر ، كما تعرضوا لحركة جهاد الشيخ أحمد لوبو في ماسينا واتجهوا إلي سيجو لطلب المساعدة ضد الشيخ وأعوانه ، بل وذهب البعض منهم إلي خلافة سوكوتو عند قيام دعوة الشيخ عثمان بن فودى

ثانيا : ظهور مؤسس الحركة الإصلاحية

رأينا أن جماعات الفولاني قد استقر في منطقة ماسينا منذ عدة قرون ومارست حرفة الرعي ، لكنهم ظلوا بعيدين عن الجماعات الأخري ، وعاشوا في ظل أسر حاكمة من الوثنيين البمبارا أو الماندنجو في منطقة سيجو . وفي هذه المنطقة ووسط هذا الجو من الصراعات الدينية كان ظهور الشيخ أحمدو

لوبو الذي لقب نفسه أميراً للمؤمنين واعلن الجهاد ضد الجماعات البمبارا والماندنجو . (١٦)

وينتمي الشيخ أحمدو إلي عشائر الفولبي التي هاجرت إلي منطقة ماسينا وعاشت مع شعب البمبارا حيث كانت الوثنية علي أشدها ، وكانت عشيرة الباري (BARI) التي ينتمي إليها الشيخ قد نزحت أصلا من فوتاتورو مع الهجرات التي تمت إلي منطقة منحني النيجر ، واشتهر أجداد أحمد بين علماء الفولاني بالتقوي والورع وكان والد الشيخ أحمدو ويدعي الألفا محمد بن أبي بكر بن سعيد قد عرف بعلمه وورعه وتقواه وكان دائم التنقل والترحال ، ولذا لم يستقر الرأي علي مسقط رأس الشيخ أحمد ، ولكن الاتجاه السائد أنه ولد في مالانجال(MALANGAL) في ماسينا ولذا أطلق عليه الشيخ الماسيني.(١٧) توفي والد الشيخ في سن مبكرة فرباه عمه ، وعاش حياة بدوية ونمي مواهبه ووسع مداركه ، وانضم إليه عدد كبير من التلاميذ ورغم أنه كان ينتقل من مكان لآخر ، الإ أنه اتخذ له مقرا بالقرب من مدينة جني (JENNE) حيث قام بالتدريس هناك وازدادت شعبيته وكثر أتباعه ، مما أزعج العلماء من جني وخشيت السلطات الحاكمة من الديكو من ازدياد نفوذ الشيخ الذي اعتنق مبادئ الطريقة القادرية . ولهذا أخذ علماء أخذ علماء جني يبحثون عن وسيلة للقضاء علي نفوذ هذا الشيخ وأتباعه.

وبعد أن استقر في منطقة روندي سيرو(ROUNDE SIROU) بالقرب من جني حمل تلاميذه دعوته لمدة عشرين عاما ، ثم أعلن تحديه للحاكم وأتباعه حيث اتهمهم بممارسة العادات والتقاليد الوثنية التي تبعد عن الدين الصحيح ، كما اعتبرهم أداة في أيدي أسيادهم من حكام البمبارا ، كما هاجم علماء جني لأنهم يتهاونون في تطبيق الشريعة الإسلامية . (١٨)

وجمع الشيخ أحمدو عدداً بالقرب من قرية كويبي(KOUBAY) في ماسينا ، وهناك انتقد بصراحة جماعات الديكو وخضوع الفولاني للبمبارا الذين يقطنون عند منحني النيجر ، وأعلن الشيخ قيام مجتمعه الإسلامي ، وظهر تحدي الشيخ لسلطات ماسينا عندما نصح أتباعه بقتل إبن الحاكم ، لأنه اغتال أتباع الشيخ أحمدو ، وخشي الشيخ بعد هذا الحادث علي حياته ، فهرب مع بعض أتباعه إلي مدينة سوي (SOY)

وفرض سيطرته علي كل منطقة سيرو ، ولقب نفسه أميراً للمؤمنين بل وادعي أنه آخر الأئمة الأثني عشرية . (١٩)

ورغم اختلاف الآراء حول طريقة حصول الشيخ أحمدو ورد الطريقة القادرية ، ولكنه من الواضح أن أراء الشيخ عثمان بن فودي في سوكوتو قد لقيت رواجا في منطقة ماسينا ، ومما شك فيه أن بعض الفولبي قد ذهب إلي بلاد الهوسا وشارك في حملات جهاد الفولاني ، وعاد بعضها إلي منحني النيجر حاملا معه آراء الشيخ عثمان بن فودي . وعلي كل فقد تأثر الشيخ أحمد بآراء الطريقة القادرية ، وصار من أهم أقطابها في غرب أفريقيا

ثالثا : إعلان الجهاد الإسلامي والاصلاح

بدأ الشيخ أحمدو جهاده بتحدي الطبقة الحاكمة من الديكو وعارض سلطاتها السياسية، وأكد أن سلطته هي السلطة الحقيقية دون منازع، وبعد أن نصح أتباعه بقتل ابن الحاكم لأنه اغتال أحد أعوانه، تجمعت طبقة الديكو وكونت حلفًا ضد الشيخ الذي اعتمد على جنود المشاة في سيجو، واستطاع الشيخ أن يحقق انتصارات متتالية على هذا الحلف علي مدى شهرين في موسم جفاف عام ١٨١٨م. (٢٠)

وبعد المعركة الحاسمة في نوكوما (NOUKOUMA) حقق الشيخ مزيدًا من الانتصارات على البمبارا وحلفائهم ، وطلب سكان منطقة منحنى النيجر قبل حكمه، وحمل لقب أمير المؤمنين.

وقد استجاب عدد كبير من الناس لحكم الشيخ، لكن مدينة جنى قاومت الشيخ، مما جعله يوجه النقد إلى علمائها لأنهم لا يطبقون الشريعة الإسلامية، واعتبرهم الشيخ من الوثنيين، وحاصرهم لمدة استمرت حوالي تسعة أشهر قبل أن يستسلموا لسلطته، واستجابت طبقة العبيد لحركة الشيخ السلفية، وقاومت كل من مدينتي تمبكت وجنى سلطة الشيخ وقامت بالثورة ضده، وكانت هذه الدعوة السلفية سببًا في عداء أتباع الطريقة البكائية وخلافة الفولاني في سوكوتو لها.(٢١)

واستطاع الشيخ حماية المنطقة المجاورة لجنى وسبيرا (SEBERA) ومناطق الكانورى وفاكالا (FAKALA) وناصره الفولاني سواء من الوثنيين أو المسلمين ونجح بعد فترة وجيزة أن يصبح سيدًا على منطقة بلغت مساحتها ٥٠٠٠٠ ميل مربع، وضمت داخل حدودها كل من مدينتي جني و تمبكت، واستولى على مدينة كوناري (KONARI) بعد صراع مع حاكمها، وفي هذه المدينة التي تقع على الشاطيء الأيمن لنهر باني (BANI) أسس في عام ١٨١٥م مدينة حمد الله لتكون عاصمة لدولته، أي عاصمة لدولة ماسينا

الإسلامية وأحاطها بسور ضخم، وضم إليها بعض المقاطعات الزراعية التي خصصت لرجال الدين والعلماء وغيرهم من المسلمين. (٢٢)

ورغم العقبات التي واجهها الشيخ في القضاء على جماعات الديكو والتي استقرت وقتًا طويلاً وكلفت المسلمين جهودًا مكثفة، فإنه استطاع بسط سيطرته على كل منطقة منحنى النيجر، وأقام الكثير من المناطق التابعة له، كما قام بوضع العشائر المختلفة في قرى دائمة، وكفل له الحماية من غارات الجماعات البدوية، ووضع في كل قرية إمامًا يرشد الناس إلى مبادىء الدين الحنيف، ويمارس تطبيق الشريعة الإسلامية. وساعدت هذه القري علي تأمين طرق المواصلات ، وازدهرت التجارة

وكانت بمثابة الحصون التي دفعت عن الدولة ضد غارات البمبارا والطوارق . وساعدت هذه القري علي توفير مستوي أفضل للعيش ، أكثر مما تعوده الناس من قبل ، وصار فهم الشريعة الإسلامية ودراسة اللغة العربية ، أساس العضوية في المجتمع الإسلامي الجديد .

واعتمد الشيخ أحمدو علي القوة العسكرية كأساس للقيادة ، ومن خلالها نجح في فرض سلطاته في حمد الله ولمدة زادت عن عقدين من الزمان ، وتمكن من القضاء علي كل إعمال التمرد ، ووسع سلطاته في معظم منطقة منحني النيجر واستطاع الشيخ إحداث تغيرات كبري في المنطقة قلص من نفوذ عشائر الديكو وأحل محلهم عشائر أخري ، كما قضي علي نفوذ علماء جني وتمبكت أخضعهم لسلطاته

رابعاً : علاقة الشيخ مع القوي المجاورة

كانت علاقات الشيخ ودية مع خلافة سوكوتو ، وحيث أنه في المراحل الأولي لجهاده اعتمد علي الشيخ عثمان بن فوده الذي صار بالنسبة إليه المرشد والموجه ومصدر الفتوي والتشريع في نضاله ضد جماعات البمبارا وعشائر الديكو العسكرية ، لكن بعد نجاح جهاده اقتنع الشيخ أحمدو بأنه المهدي المنتظر الثاني عشر في السودان الغربي ، لم يعترف بأي قوة أخري في المنطقة ، ولذا فإنه رفض سيادة سوكوتو خصوصا سلطة الشيخ عبد الله بن فودي في جواندو ، وهذا ما جعل العلاقات تتسم بالعداء في أواخر الخمسينيات من القرن التاسع عشر . ويضاف إلي ذلك أن دولة سوكوتو ساعدت علي إيواء عدد كبير من عشائر الديكو التي هربت إلي هناك بعد فشلها في تحقيق انتصارات ضد الشيخ.(٢٣)

ورغم سوء العلاقات بين الشيخ أحمدو وخلافه سوكوتو ، الا أنه لم يحدث تهديد عسكري مباشر من جانب دولة سوكوتو ، وذلك لبعد المسافة ، ووجود أراض فاصلة بين الدولتين ، مما جعل إرسال المشاه والفرسان أمراً صعبا ، وظلت العلاقة علي هذا الوضع من الجمود حتي نهاية خلافة ماسينا.
أما علاقة الشيخ احمدو بالطريقة البكائية في تمبكت فقد سادها أيضاً نوع من الفتور والصراع حول الأسس والمبادئ التي يطبقها زعماء كل طريقة ، فالطريقة البكائية قادرية ولا ترضي بالمبادئ التي ينادي بها الشيخ أحمدو ، بل واتهموه بضحالة معلوماته ، وعدم مرونة العلماء في دولته ، ورد الشيخ علي البكائية بهجوم مماثل (٢٤)

وكان سبب الخلاف بين البكائية والشيخ أحمدو هو أنه منع استيراد وزراعة التبغ في خلافته ، وكان هذا ضربة كبري لقبيلة الكونتا التي ينتمي إليها الطريقة البكائية ، والتي تسيطر علي أكبر مشروعات لزارعة التبغ وتسويقه في السودان ، ويضاف إلي ذلك أن الشيخ أحمدو منع نظام الزيارات التي كان يقوم فيها الشيوخ برحلات في المدن والقري يتقلون الهدايا من مضيفهم . بالطبع أثر ذلك علي دخل عدد كبير من شيوخ البكائية ، وقد عارض علماء حمد الله مثل هذه الزيارات ، خوفا من قيام الشيوخ ببعض الأعمال التي تخالف الشريعة .

ونظراً لمكانة الطريقة فقد أستطاعت ان تجمع تحالفا قويا ضد خلافة حمدالله، وكانت البكائية هي الوسيط الوحيد في النزاع بين خلافة حمد الله ومدينة تمبكت، فالمدينة تلعب دورا حيويا هاما في طرق التجارة في السودان الغربي ، كما كان لها مكانتها القديمة كمصدر اشعاع للقيادة الإسلامية وكمنارة للعلم والعلماء ، كل هذا أكسبها مكانة في نظر خلافة ماسينا التي حاولت السيطرة على هذه المدينة ووضعها تحت نفوذ الشيخ أحمد ولكن حكامها من الأرما والعلماء والتجار كانوا يحقدون على الفولبي مثلهم مثل علماء جني.(٢٥)

وحاول الفولبي فرض سيطرتهم على المدينة لكنهم عجزوا أمام الطوارق ، واضطر الشيخ احمدو إلي فرض حصار علي تمبكت التي عانت كثيرا من هذا الحصار، وتدهورت تجاربها في الكم والكيف بسبب هذا الحصار وحاول شيوخ البكائية الوساطة بين حكامها من الطوارق وبين حكام ماسينا ، وهذا ما أعطى البكائية مكانة مرموقة في الشئون الخارجية لخلافة حمد الله ، واستطاع الشيخ الإستيلاء على جنى عام ١٨٢٠ م وعلي تمبكت عام ١٨٢٨ م.

ولم يكن عداء الخلافة في حمدالله قاصرا على البكائية أو حكام تمبكت من الأرما المراكشيين ، بل كانت جماعات الطوارق تشكل أيضا احد الأخطار التي واجهت خلافة حمدالله ، وكان الطوارق يشكلون أعظم خطر واجه الشيخ أحمدو، حيث تنافسوا مع البدو من الفولبي للحصول علي مناطق للرعي والملح وموارد الماء في المنطقة الشمالية من الخلافة .

وكان الطوارق يتمتعون بالكثير من المزايا العسكرية التي لا تقل عن الفولبي كما كان عندهم عدد كبير من الفرسان المهرة ، وكانوا يحاربون بالسيف والرمح والدرع وكانوا يشكلون قواعد قوية في الصحراء وجعلتهم يفرضون السيطرة علي كثير من البدو هناك ، ويحققون انتصارات حاسمة في المعارك التي يخوضونها .

وعندما شن الشيخ أحمدو حملته العسكرية في عام ١٨١٨ م كان الطوارق بالفعل يضغطون علي المناطق الصالحة للرعي ، وحدثت مصادمات في المناطق الآهلة بالسكان في جيوميالا (Giumbala) ومنطقة إيساب (Lsa Ber) كما سيطر الطوارق علي طرق التجارة وعلي السكان المستقرين علي طول الحدود الصحروية

وتورط الشيخ أحمدو في هذا الصراع ، وقدم الدعم لعشائر الرعاة من الفولبي كما طلب من الطوارق قبول حكمه باعتباره الخليفة الثاني عشر ، وبالفعل استجاب له بعض جماعات الطوارق ، لكن الغالبية لم توافق علي مطالبة، واضطر الشيخ إلي الدخول في صراع مع هذه الجماعات ، ونشبت معارك متقطعة بين الفولبي والطوارق في المناطق الشمالية من خلافة حمد لله، وكانت معركة نيجري تويا (Nigiri Toya) قد عرقلت مطالب الفولبي في هذه المنطقة ، بل وكانت ضربة عنيفة ، لقيادة حمد لله العسكرية .

ولكن الطوارق انسحبوا إلي الصحراء ، ورفضوا سيادة الفولبي ، ويبدو أن الطرفين قد توصلا إلي اتفاق بشأن المنطقة بعد أن لعب البكائية دورا في هذا الاتفاق .

ورغم أن الشيخ أحمدو قد نجح في تحقيق بعض المكاسب للفولبي ومنع الطوارق من السيطرة عليهم ، إلا أنه لم يتمكن من حماية المنطقة من تهديدات الطوارق أو حتي التقليل من قوتهم بعد تحطيم الحلف القائم بينهم في المعركة نودوكاوي (Noudukkway) واستمر الوضع علي هذا الحال طوال عصر الشيخ أحمدو ولما بدأ الجيل الثاني من الخلافة واصل هذا الجيل صراعه مع

الطوارق حتي ظهر الجيل الثالث بظهور الشيخ أحمدو الثالث والذي دخل في صراع مع زعيم جهاد المسلمين الحاج عمر الفوتي التكروري الذي غزا خلافة حمد لله في عام ١٨٦٢م.

خامساً : نظام الحكم في الخلافة

لقد استطاع الشيخ أحمدو أن يؤسس نظاما إسلامياً قويا ، وسيطر علي منطقة واسعة امتدت من تمبكت في الشمال إلي أراضي الموسي (Mossi) في منطقة أعالي الفولتا في الجنوب . وقضي علي حكام البمبارا وبني نظاماً إداريا فريداً من نوعه وصارت ماسينا تجسد الإصلاح الديني الإسلامي أكثر من أي منطقة أخري في غرب إفريقيا . (٢٧)

وقام الشيخ بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في دولته ، وحيث أسس بيتاً للمال وأقام نظاماً عسكرياً للدفاع عن حدود الخلافة ، وعين الإمراء في مختلف الأقاليم وقسم العاصمة حمد لله إلي سبعة أحياء يشرف علي كل منها أحد القضاة، كما عين قاضي القضاة ليتشرف علي هذه الأقاليم السبعة.

وفي المجال السياسي أنشأ الشيخ أحمدو مجلس الأربعين الذي يرأسة أحد مشاهير العلماء ، ورغم أن الشيخ أحمدو قد حمل لقب أمير المؤمنين الإ أنه كان عضوا في مجلس الأربعين ، وكان يفوض من سلطاته إليه .

وكان الشيخ أحمدو بعد نجاح جهاده ، قد دعا مائة من رجال الدين وطلب منهم توحيد الجهود لوضع إدارة حازمة ، تحل محل النظام المحلي لأسر الحكام السابقين ، ولتضع نظاماً اجتماعياً إسلاميا يضمن حياة أفضل لكل طبقات المجتمع وقدم المرابطون بعد دراسة متأنية استمرت عدة شهور – مقترحاتهم حول النظام المطلوب وبعد أن درسها الشيخ أحمدو وافق عليها ، وعين أربعين مرابطا ليكونوا المجلس الأعلي أو المجلس الاستشاري ، وقد قسم أعضاء المجلس أنفسهم إلي خمس مجموعات حسب المناطق الإدارية للدولة . (٢٨)

وحسب اقتراحات مجلس الأربعين أنشأ الشيخ في كل مديرية هيكلا إداريا محليا حتي وصل إلي مستوي القرية ، وحاول الشيخ أحمد تطبيق سياسية أستقرار جماعات الفولاني البدو ، وفي قري ثابتة ومستقرة يسهل للدفاع عنها مما ساعد قيام علي نظام متكامل مستقر في ظل دولة واحدة.(٢٩)

ولقد دعم الشيخ أحمدو هذا الاستقرار داخل الدولة بإقامة نظام يسير وفق الشريعة الإسلامية ، فأنشأ بيت المال ليتولي الإنفاق منه حسب حاجات المجتمع وصارت الزكاة أهم موارده ، بالإضافة إلي الجزية والخراج وأسلاب الحرب

والغرامات التي يدفعها من يخالف الشريعة الإسلامية ، وقد تراوحت هذه الغرامات مابين ٥٠٠ صدفة وألغي صدفة هذا بالإضافة إلي غرامات جماعية تدفعها القري أو المدن التي يحدث بها اضطراب او عصيان. (٣٠)

واستخدم الشيخ أحمدو الرقيق أسرى الحروب في أعمال الزراعة في الدولة، كما كلف الجماعات الوثنية بزراعة أراضي الدولة، كما وزع الماشية التي يحصل عليها من المزارعين، تحت إشراف موظفين مسئولين، يتولون إصدار التعليمات لأصحاب هذه القطعان، بالانتقال من مكان إلى آخر بحثًا عن المراعي الخضراء، وكان رؤساء الأحياء يحصلون على رسوم وضرائب من أصحاب الماشية، وكان هذا العائد يستخدم في الإنفاق على المشروعات العامة في الدولة.(٣١)

وكان الفلاحون والصيادون يدفعون الخراج الذي هو في الأصل ضريبة على الوثنيين ولكنها طبقت على كل المناطق عدا الجهات التي ساندت الشيخ أحمدو في بداية جهاده، وكانت تحصل بالأصداف (العملة السائدة في معظم مناطق غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر) بواقع ٥% من قيمة منتجات المحاصيل، وكانت تحصل في الغالب عينًا، وهناك أيضًا ضريبة على غير المحاربين تتراوح نسبتها ما بين ١٥٠٠صدفة و٥٠٠٠ صدفة على الفرد، وكان الرقيق يدفعون أيضًا الضرائب من هذا النوع.(٣٢)

وأنشأ الشيخ أحمدو مدارس لتحفيظ القرآن، والتي أصبحت أكثر من٦٠٠ مدرسة في العاصمة، وكانت تدرس التفسير والحديث والتوحيد وأصول الدين والتصوف، إلى جانب علوم النحو والصرف والبيان والمنطق، وكان الشيخ أحمدو يقوم بإلقاء دروس في القرآن الكريم في الصباح، كما كان يعطي دروسًا عن السيرة بعد الظهر، وكان يتخذ من منزله مكانًا للدراسة، حيث يفد إليه الطلاب لتلقي هذه الدروس في الصباح والمساء.

ولم تتوقف دعوة الشيخ أحمدو على منطقة ماسينا، بل امتدت إلى منطقة واسعة من غرب القارة حيث ادعى الشيخ أحمدو الطريقة المهدية، وإنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ المجتمع الإسلامي في هذا الجزء من القارة الأفريقية. (٣٣)

وقد تجاوز الشيخ بتفكيره حدود وطنه، وتطلع إلى الوطن الإسلامي الكبير فيما وراء الصحراء الكبرى، ووجه رسائل إلى حكام المسلمين في أفريقيا وغيرها من الأقطار الإسلامية بأنه الإمام الثاني عشر، وأنه المهدي الذي جاء لإنقاذ الدين الإسلامي من الوثنية. (٣٤)

ومات الشيخ أحمدو في عام ١٨٤٤ م بعد أن أرسى دعائم دولتـــه، والتـــي امتدت في كل المنطقة الشرقية من التقاء نهر الفولتا مع نهر الـــسورو (Suro) كما توسعت جنوبًا حتى ايسابر(Lsa Ber) حتى مدينة تمبكت. وبعد وفاته تولى ابنه أحمدو شيخو الذي لم يعمر طويلاً حيث توفي أيضًا فـــي عـــام ١٨٥٣ م، وخلفه ابنه أحمدو الثالث الذي شاء قدره أن يواجه غزو الحاج عمرو الفـــوتي التكروري لامبراطوريته، وكان عليه أن يتعاطف مع قوات البمبارا في ســـيجو ومع جماعات الكونتا (Kunt) (٣٥)

سادسًا: القضاء على حركة الإصلاح في ماسينا

لم تعمر حركة جهاد الشيخ أحمدو وخلافائه كثيرًا، حيث إنها تعرضـــت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى صدام مع حركة جهاد أخرى أقوى عسكريًا، تلك هي حركة الحاج عمرو الفوتي التكروري، ذلك المجاهـــد الـــذي حاول بناء امبراطورية اسلا مية علي أنقاض الدويلات الصغرى فـــي وادي السنغال، وذلك على أسس الطريقة التيجانية، التي حاول الحاج عمـــر الفـــوتي ادخلها بين جماعة حمد الله. ٠

وتشير التقارير المحلية إلى أن عددًا من علماء خلافة ماسينيا قد اعتنقـــوا مبادئ هذه الطريقة لكن لم يمارس هؤلاء العلماء أي نشاط لها في ماسينا قبـــل غزو الحاج عمر للمنطقة ، كما أن الشيخ المختار بن وديعة الله أحـــد العلمـــاء البارزين في حمد لله قد أرسل قصائد إلي الحاج عمر في دنجوراي . ورغـــم وضوح التفاصيل حول انتشار هذه الطريقة التيجانية في ماسينا ، الإ أن بعـــض الزعماء بها حاولوا اغتيال الحاج عمر خلال زيارته لماسينا ، كمـــا أن بعـــض علماء الطريقة البكائية كانوا يضمرون العداء للحركة التيجانية ، وقـــد اعتبـــر زعماء ماسينا أن اتباع الطريقة التيجانية خارجون عن القانون خلال فترة حكم أحمدو وشيخو وأحمدو الثالث ذلك لأن أتباع هذه الطريقة قد انتـــشروا بـــشكل متزايد وكانوا يثيرون القلق في نفوس الحكام . (٣٦)

كان الصراع محتدماً داخل خلافة حمد الله بين أتباع التيجانيـــة وأصـــحاب الطريقة القادرية السائدة في الخلافة ، وكان التنافس واضحا بين الطرفين ، وكان أتباع الطريقة يبحثون عن وسيلة لاستقلال حمد لله عن التيجانية ، لكن الجيـــل القديم أيام الشيخ أحمدو لوبو اعتبر أن قدوم الحـــاج عمـــر وفـــرض الطريقـــة التيجانية في خلافة حمد لله هو الأمل الوحيد لعودة المظاهر الدينية الصحيحة في ظل حكم إسلامي قوي وكان رائد هذه الفكرة الشيخ المختار وديعة الله الذي كان

علي اتصال بالحاج عمر وكان يعده بتسهيل مهمته لبسط سيطرته علـــي هـــذه الخلافة .

ولم يكن خلفاء حمد الله هم الذين يعارضون فقط انتـــشار التيجانية ، بـــل عارضها أيضاً الشيخ أحمد البكائي الذي يدعم ويساند أحمدو الثالـــث ويـــؤازره لمنع دخول التيجانية في بلاده ، وبذل البكائي جهوداً واضحة للتصدي للحركـــة التيجانية ، بل وراح يقنع أحمدو الثالث بالتحالف مع القوي الوثنية مثل البمبـــارا في كارتا وسيجو ، لأجل قيام تحالف عسكري لمعارضة التيجانية .

لكن هذه الأسباب صار واضحاً بين اتباع الحاج عمر وبين الطريقة القادرية في حمد الله وكان لابد من الصدام خصوصا بعد أن أغلق الفرنسيون علـــي الحـــاج عمر أبواب الغرب نحو المحيط الأطلنطي ، فكان عليه أن يتجه إلـــي الـــشرق صوب إمبراطورية الفولاني ، وبالفعل دخل في صراعات مع زعماء حمـــد الله في عام ١٨٥٤ م ، واجتاحت قواته المنطقة في عام ١٨٥٧ م ، ودخـــل كارتـــا وهزم قوات البمبارا الوثنية في كل اللقاءات التي تمت واستطاع الحاج عمر أن يهزم قوات الفولبي ماساسي في نيورو عام ١٨٥٨ م وبدأ يوجه حملاته نحـــو سيجو واعتبر الحاج عمر أن المجتمعات الإسلامية الموجودة والتي لـــم تعتنـــق التيجانية شبيهة بالقوي الوثنية ، ولابد من إخضاعها لسيطرته حتي يتسني نشر الدين الإسلامي علي أسس قوية .

ونظراً لتحالف أحمدو الثالث مع القوي الوثنية من البمبارا ، فقـــد أعلـــن الحاج عمر بشرعية الجهاد ضد المسلمين الذين يتخالفون مع الوثنية ، ووجـــه قواته ضد هذا الحلف وقام بقطع خطوط اتصالاتهم ، وواصـــل تقدمـــه بجـــيش التوكولور نحو النيجر وفي يناير ١٨٦١ م حاصر قلعة أويتالا (Oitala) حيث وجد جيشاً موحداً مشتركاً من البمبارا فولبي ماسينا الذين تحالفوا مع علي ديارا (Ali Diara) الذي قدم إليه أحمدو الثالث مساعدت عسكرية من أجل مواصلة الحرب ، وكان هذا الجيش المشترك بقيادة بالوبو (Ba Labbo) أحـــد اعمـــام أحمدو الثالث ، ولكن هذا الجيش المشترك فشل في التصدي لقوات الحاج عمر التي تفوقه عدداً وعتاداً والتي تمتلك أسلحة حديثة تساعدها علي فتح القلاع ذات الأسوار العالية . وكبد الحاج عمر جيش حمد الله والبمبارا خسائر فادحة حتـــي اضطرت القوات المشتركة إلي التقهقر بعد قتال دام أسبوعين ، وهرب كل مـــن علي ديارا وبالوبو إلي ماسينا وقبض الحاج عمر علي حاكم البمبارا ، وســـيطر التيجانيون علي الدلتا الداخلية لنهر النيجر .

واستطاع الحاج عمر في عام ١٨٦١ م القضاء علي الجيش البمباري ثم وجه ضربة قاصمة إلي حكام ماسينا ، واستعد أتباعة للدخول إلي قلب ماسينا،لكنه قبل الدخول إلي العاصمة أرسل إلي مقر إقامته في ساندنج (Sansanding) رسالة إلي أحمدو الثالث يطلب منه التعاون معه ضد السكان الوثنين المجاورين.(٣٩)

رفض أحمدو الثالث التعاون مع الحاج عمر وفضل التحالف مع الكفار ، ومن هنا وضع دولته في محنة كبري ، وعرضها إلي خطر جسيم ، بل وحكم عليها بالدمار والفناء .

وقبل الهجوم علي المدن الرئيسية في ماسينا ، حاول تسوية المشكلات الرئيسية في دولته المترامية الأطراف ، فعين بعض الحكام في المناطق التي فتحها . كما عين ابنه رئيساً علي سيجو ، واحتفظ هو بقيادة الجيش ، وكان أمله أن يساعده هذا التنظيم الجديد علي تحرير نفسه من أعباء الإدارة ، وحتي يتفرغ لتنفيذ أعمال الجهاد الإسلامي في المناطق التي فتحها حديثاً ، لكن هذا النوع من التنظيم الذي أعطي حق الحكم وراثياً لابنه قد أثار مشكلات بين الأخوة وأبناء الأعمام .

وتحرك الحاج عمر علي رأس جيش نحو سيجو في ١٣ من ابريل عام ١٨٦٣ م وكانت سلطاته قد توسعت بعد انضمام البمبارا والفولبي إليه والاتفاق علي تقديم المساعدة له (٤٠)

ولما أحس أحمدو الثالث بالخطر المحدق به بعد تحالفه مع الوثنيين ، جمع قواته المتبقية في محاولة أخيرة للتصدي للحاج عمر ورجاله في معركة سيوال (Wal Sae) في مايو عام ١٨٦٣ م وحدث التصادم بين الطرفين ، واقتحمت قوات الحاج عمر جيش الفولبي ، ووجد أحمدو الثالث نفسه وسط المعارك الدامية ، وفي قلب هذا سقط أحمدو الثالث قتيلا ، وبموته تقدم جيش الحاج عمرو نحو مدينة جني ثم إلي حمد الله عاصمة ماسينا ، ليصير سيد المنطقة بعد القضاء علي خلافة حمد الله التي عمرت حوالي نصف قرن من الزمان وانتهت حركة جهاد أخري من حركات جهاد المسلمين في غرب افريقيا لتحل محلها حركة أخري أشد منها قوة في هذه المنطقة الإسلامية(٤١)

ووسع الحاج عمر نشاطه وسيطر علي المنطقة ، ثم تفاوض مع شيخ البكائية ورئيس جماعات الكونتا القادرية في تمبكت ، ووقع معه معاهدة من أجل تنظيم عملية تقسيم الضرائب التي تجبي هناك ، وهكذا سيطر الحاج عمر علي

إمبراطورية شاسعة من وادي السنغال عند كايس في الغرب حتي ماسينا في الشرق ومن كارتا في الشمال عبر بلاد البمبارا في الجنوب (٤٢)

ولعل السؤال الذي طرح نفسه في هذا المجال هو :

هل هناك اختلافات أساسية بين الطرق الصوفية في إفريقيا ؟

من الأمور التي تدع مجالا للشك أن الطرق الصوفية قد أدت دوراً كبيراً في نشر الإسلام وحضارته في أجزاء مختلفة من القارة الإفريقية . ورغم تعدد الطرق الصوفية فإن لكل طريقة وردا خاصا بها ، وعلي كل من ينضم إليها أن يتبع تعاليم شيخ الطريقة ، ويمكن الاختلاف في بعض القواعد الخاصة التي يقوم بها العضو فيما يسمي الذكر أو الحزب . ومن الصعب أن نعدد التفاصيل التي يقوم بها العضو عند الصلاة بمفرده ، ولكن هناك بعض الاختلافات العامة ، فمثلا نجد أن أوراد الطرق الناصرية والسنوسية والتيجانية بسيطة خاصة في المراحل الأولي حيث تضم ابتهالات بسيطة تكرر عدد مرات في اليوم ، وفي التجانية والوزانية تعيير الابتهالات إلزامية في الصباح والمساء فقط بينما في الطريقة القادرية ، فإن الأتباع يتلون الورد بعد كل صلاة من الصلوات الخمس ، وهناك تركيز علي ترتيب هذه التعليمات وانخفاض الصوت وارتفاعه ، ووضع الجسم خلال هذه الابتهالات . وأما في التيجانية فإن قراءة حزب الطريقة واجب علي كل عضو علي الأقل مرة في اليوم . وأما في الشاذلية فهناك بعض الأذكار الخاصة التي يقوم بها العضو مائة واثنتين وثلاثين مرة في اليوم . عدا يوم الجمعة حيث يتلو العضو أذكاراً تصل إلي أربعة آلاف وثلثمائة وخمسة وستين مرة . (٤٣)

والملاحظ أن هذه التلاوة الخاصة للذكر قاصرة علي هؤلاء الذين دخلوافي المراحل الثانية والثالثة من الطريق الروحي ، وأما الذكر المنفرد فيقوم به العضو إما باللسان أو القلب في المراحل الأخيرة لدخول الطريقة الدرقاوية . وأما في الطريقة الصوفية الرحمانية يحرم الذكر الخاص ، ويتم التركيز علي الذكر الجماعي باعتباره أكثر فاعلية .

وهناك اختلافات بين الطرق الصوفية في الذكر أثناء الحضرة ، خصوصا بين القادرية والدرقاوية والتيجانية ، ويتوقف الاختلاف علي مدي النشوة التي يصل إليها العضو فيما يسمونه (المعرفة) وعلي عكس القادرية والدرقاوية .فإن أتباع الطريقة السنوسية لا يتوسعون في حالات الذكر ، ويمنعون الرقص أو استخدام الالآت الموسيقة أثناء تلاوة الذكر

وتسعي كل طريقة إلي الالتزام بأوامر شيخ الطريقة ، والسعي لبناء الزوايا في مختلف المناطق وتعين المسئولين عن هذه الزوايا ، وارتباطهم الروحي بشيخ الطريقة . وتختلف طريقة القيادة والتوجيه بين الصوفيين ، ففي القادرية والتيجانية فإن الروابط بين الزاوية الأم والزوايا الفرعية تكون روحية ، وتعتمد كل منهما علي الأخري .

وباختصار فإن الطرق الصوفية في غرب إفريقيا مهما اختلفت أساليب كل طريقة عن الأخري كانت تسعي نحو ضم أعداد كبيرة من الأفارقة إلي هذه الطرق ، وبمجرد انخراط العضوفي طريقته يبدأ في حفظ الأوراد وحضور جلسات الذكر ويصبح خاضعاً لتعاليم شيخ الطريقة ، ويمكن أن يتدرج في حفظ وظائف الطريقة حتي يصل أعلي المراتب . وبهذا التنظيم الصوفي نجح أتباع الطريقة القادرية والتيجانية في تكوين جيوش إسلامية قوية ، وبناء دول تطبق الشريعة الإسلامية كما قام أتباع الطريقة بدور كبير في إنشاء المدارس ، ونشر مبادئ الدين الإسلامي في المناطق البدوية أو الصحراوية ، وعندما بدأ الصراع الأوروبي علي مختلف أجزاء القارة الأفريقية زاد نشاط الطرق الصوفية ، ووقفوا سدا منيعاً أمام محاولات التنصير ونشر المسيحية في مناطق وجود هذه الطرق . (٤٥)

الخاتمة

وبعد استعراض هذا الجهاد الإسلامي في منطقة ماسينا بلاده مالي حاليا وجدنا أن هناك بعض الحقائق التي تسترعي الانتباه ، بل وتطلب التنويه عنها في محاولة لتقيم هذه الحركة باعتبارها إحدي حركات الجهاد التي طالبت بتطبيق الشريعة الإسلامية وأقامت خلافة الشيخ إسلامية مثل خلافة الشيخ عثمان بن فودي .

اولا : رغم أن هذه الحركة استقت النظام السائد في سوكوتو والذي اتبعه خلفاء الشيخ عثمان بن فودي ، الإ أن الخلافة التي قامت بها كانت أيضاً خلافة محلية ولم يحاول أبناء الشيخ أحمدو لوبو إقامة جسور من العلاقات مّع الدول المجاورة بل إنهم شقوا عصا الطاعة لخلفاء الشيخ عثمان بن فودي ، ولم يحاولوا البقاء داخل هذا الإطار الإسلامي الكبير ، وظلوا مستقلين طوال فترة وجود هذه الدولة ولم يحدث أي نوع من العلاقات مع الدولة العثمانية أو مع الحركة السنوسية التي

كانت قد بدأت في ليبيا في حوالي عام ١٨٤٣ م . وباختصار ظلت خلافة حمد لله متقوقعة داخل حدودها الإقليمية حتي القضاء عليها .

ثانياً: إن هذه الخلافة الإسلامية اتبعت الطريقة الصوفية القادرية ، وهي نفس الطريقة التي انتهجها الشيخ عثمان بين فودي وبقية زعماء الدولة الإسلامية هناك ومن الملاحظ أنه رغم التشابه في النهج الصوفي الا أن التعاون بينهما كان معدوماً ولم يتعاطف أبناء الطريقتين ، واتخذت كل منهما مساراً يختلف عن الأخري ، بل وادعي الشيخ أحمدو بأنه الإمام الاثني عشر ، وأنه المهدي المنتظر ، وهو ما رفضه أتباع الشيخ عثمان في خلافة الفولاني في سوكوتو .

ثالثاً : إن دولة الخلافة في ماسينا لم تحاول إقامة علاقات مع جماعة صوفية قادرية أخري هي الطريقة البكائية ، وظل الخلاف بينهما قائما حتي قدوم الشيخ عمر التكروري بطريقته التيجانية ، وادي ظهور أعوان التيجانية إلي ضرورة التحالف ضد هذه الحركة الجديدة ، وبالتالي حدث تعاون من أجل القضاء علي الحاج عمر ودخلت الجماعات الثلاث في خلافات انتهت باستشهاد الحاج عمر عام ١٨٦٤م بعد أن كان قد أجهز علي هذه الخلافة .

رابعًا: لاحظنا من خلال دراسة الجهاد في منطقة ماسينا أن العدو الأكبر الذي واجه هذه الدعوة هو الشيخ عمر التكروري، ورغم أنه مسلم وصوفي لكنه كان يحاول نشر الطريقة التيجانية التي نقلها عن أحمدو التيجاني في المغرب، ورغم أن التيجانية لا تختلف كثيرًا عن القادرية، إلا أن أصحاب الطريقة التيجانية كانوا يؤمنون بالعنف المسلح لنشر ورد الطريقة على عكس إتباع الطريقة القادرية الذين يحاولون نشر طريقتهم بالحجة والاقتناع، وبالتالي لم تتعاون الطريقتان سويًا أمام الخطر الأوروبي الذي أجبر الحاج عمر على الانتقال بدولته إلى منطقة جهاد ماسينا، واعتبر سكان حمد الله أن الحاج عمر جاء ليستعمر بلادهم، ويحتل مناطق نفوذهم، وينشر طريقته التيجانية، فكانت الحرب بينهما، وتعاونت كل الطرق لطرد هذا الغازي المسلم الذي جاء من غرب أفريقيا في بلاد السنغال، وبالفعل دخل الحاج عمر في صراع دموي معه استطاع في بدايته القضاء على هذه الدولة لكن هذا كلفه حياته وخارت قواه أمام حصار القادريين له، حتي استشهد على أيدي المسلمين وليس على أيدي الغزاة الأوروبيين.

خامساً : اتكرر هذا المشهد المأسوي، وذلك الصراع الدموي بين المسلمين في غرب القارة تكرر في أكثر من مكان، ولم تتعاون الطرق الصوفية بغض النظر عن انتماء كل منها لشيخ معين لصد هذا الخطر الأوروبي الذي استهدف في

المقام الأول ديار الإسلام والمسلمين كما لم يحدث تكوين جبهة اسلامية لصد هذا العدوان الصليبي الذي قسم هذه المناطق مع حلفائهم في أوروبا، وجاء إلى القارة لفرض سلطانه على هذه المناطق بصرف النظر عن الطرق القائمة بهـا ولـو أدرك المسلمون ما يخططه لهم ساسة أوروبا من تكالب على ممالكهم، لوقفـوا متحدين أمام هذه الغزوة الاستعمارية. ولو حدث هذا لكان من المحتمـل تغيـر صورة الكفاح، وفشل الأوربيين في توسعهم بهذا الشكل الكبير.

سادساً: أن الحقيقة التي تبرزها هذه الدراسة، والدراسات التـي تمـت حـول نضال المسلمين ضد الغزو الأوروبي قد كشفت بكل صدق لا يدينه شـك – أن زعماء الطرق الصوفية ورجال الدين في غرب القارة لم يتعاونوا سـويًا أمـام الغزو الأوروبي، وقاومت كل جماعة على حدى دون أن يحـدث التنـسيق أو الاتحاد مما جعله لقمة سائغة أمام جيوش الأوروبيين، وسـقطت هـذه الـدول الواحدة تلو الأخرى في قبضة الاستعمار الأوروبي حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

ولن نبالغ إذا قلنا أن بعض الطرق الفرعية قد وجـدت أن تعاونهـا مـع الاستعمار ربما يضمن لها البقاء، فتعاونت مع الأوروبيين ضد بنـي جـادتهم، كانت نتيجة تشتت الجهود، وتفتت القوى الوطنية التي دخلـت جميعهـا تحـت السيطرة الاستعمارية، ولم يدرك زعماء هذه الطرق تلك الحقائق إلا بعد فـوات الأوان ، وبعد فرض السيطرة الأوروبية الكاملة على هذه المناطق

لكن تظل الحقيقة الساطعة أن زعماء الجهاد الإسلامي – رغم الاستـشهاد أو الاستسلام – فإنهم لم يفرطوا في دينهم ، وكانت المدارس التي أسسوها هـي التي حملت لواء نشر الدعوة الإسلامية في ظل الاستعمار الأوروبي ، قام رجال الصوفية بدور كبير تحت مظلة الاستعمار الأوروبي ، مما حفظ للدين الإسلامي مكانته في هذه الجهات ، واستمرت الدعوة المحمدية ، والشريعة الإسلامية تحكم في هذه المجتمعات الإفريقية التي شهدت صحوة إسلامية في مطلع القرن التاسع عشر بعد إعلان الجهاد الإسلامي في معظم مناطق غرب افريقيا .

ولازال المسلمون يحتلون مكانة بارزة في مجتمعات غـرب القـارة ، ولازال الاتصال قائما بين الأزهر الشريف الذي يغذي هذه الدول باحتياجاتها من رواد وفقهاء ، ودعاة وائمة، ولازالت مكتبات هذه الدول الإسلامية تنهل مـن الازهر الشريف ومؤلفاته بشكل لا ينقطع ، ولا تزال الجامعات في هذا الـدول تجد الدعم من العالم الإسلامي في المشرق ، إيماناً من المسلمين في كل مكـان

بالحفاظ علي هذا التراث الإسلامي الذي ناضل من أجله زعماء جهاد أخلصوا لدعوتهم وكافحوا من أجلها ، وأقاموا نظاماً خلافياً من أسرهم للإبقاء عليها ، والحفاظ علي هذه الدعوة الإسلامية .

ويكفي هذه الدعوة الجهادية فخراً أنها استطاعت أن تنقل الجهاد الإسلامي من الشرق ومن دولة سوكوتو إلي الغرب حيث استطاع أقطابها تطبيق الشريعة الإسلامية في تلك الخلافة الجديدة بعد أن قضوا علي معاقل الشرك والوثنيين ، ولولا الصراع الأوروبي علي القارة ، ولولا الاحتكاك مع القوي الإسلامية الأخري لحققت هذه الدعوة الكثير . لكنها رغم قصر المدة التي عاشتها ، إلا أن الآثار التي خلفتها في نشر الدعوة الإسلامية لا تزال علامة بارزة في تاريخ هذه المنطقة .

هوامش البحث

١- انظر خريطة شكل رقم (١)

٢- تقع المنطقة التي قامت فيها خلافة ماسينا في بلاد مالي حاليا ، وتضم أهم مراكز الحضارة الإسلامية في غرب القارة خاصة مدن جاو ، وجني وتمبكت ، بالإضافة إلي عاصمة هذه الدولة الجديدة في مدينة حمد لله ويقطن هذه المنطقة عدد من القبائل البدوية ، أشهرها وأكثرها عدداً قبائل الفولاني الإسلامية والتي يطلق عليها أيضاً لقب الفولبي .

٣- انظر خريطة الغزو المراكشي علي أهم المدن في شكل رقم (٢)

٤- Hunwick ,J: Ahmed bamba and the Moroccan Invasion of Songhay , Journal of the Histoical Society of Nigeria , ٣, ١٩٦٢

٥- Triminham ,J.S. : History of Islam in west Africa, pp. ١٤٤-١٥١

٦- انظر شكل رقم (٢)

٧- Griffeth, Robert Ross : Varities of African Resistance to T he French Conquest of the Western ،Sudan, ph. D .thesis Northwestern Univesuty U.S.A . ١٨٦٨ .P.٨٠

٨- Trimingham, J.S. :Op. cit, p. ١٤٩

٩ - Monteil, c. :Les Bambaras de segou et du kaarta, paris, ١٩٢٤ , p .٣٤٤

١٠ - الطريقة البكائية فرع من الطريقة القادرية ، وتنتمي إلي الشيخ أحمد البكائي الذي لعب دوراً في نشر دور هذه الطريقة بين جماعات الطوارق ، واتخذ من مدينة تمبكت مقراً له ، وتصدي للطرق الصوفية الأخري .

١١- إن سيدي المختار وديعة الله من أشهر علماء السودان بسبب مخطوطاته عن تعويذة الربانيات لجماعة التيجانية وكتابة الشهير (تبكيات البكائي) ، أما ألفا نوح بن الطاهر فهو من أصل صنغي ، وصار قاضياً مشهوراً ، وعميداً لمجلس العلماء في حمد الله ، والمسئول عن توجيه شئون الدولة طوال فترة حكم الشيخ أحمدو.

١٢- انظر Brown,W.B., Op. cit, p. Park, M: Travels, ١٧٩٩,p.

١٣- Triminigham ,J.S.Op. cit .p. ١٧٧.

١٤- Ba and Daget : L, Empire du Massina Vol .I. (١٨١٨-١٨٥٣) Paris ١٩٦٢, P. ٢٠٢.

١٥- Brown, W.A. The Caliphate of Hamdullahi (١٨١٨- ١٨٦٤) Asudy, in Afican History and Tradhation ., P h .D. university of Wisconsin U. S.

A . ١٩٦٩ ,P . ١٠١

١٦- عندما أعلن الشيخ أحمدو لوبو حركته الإصلاحية في منطقة ماسينا ، اتخذ من خلافة الشيخ عثمان في سوكتو نموذجاً له ، بل وسافر إلي هناك والتقي بالخليفة محمد بلو بن عثمان (١٨١٧-١٨٣٧ م) وقضي فترة في هذه الدولة ، وشارك في حملات الجهاد . وبعد أن استقي كل المبادئ حمل معه بعض الكتب ومؤلفات الشيخ عثمان ، وانتقل إلي ماسينا ليعلن الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية ، لكنه رفض التبعية للخليفة في سوكوتو ، وأعلن دولة مستقلة ، واتخذ لقب أمير المؤمنين ، وحاول بناء خلافة يتولي فيها أبناء اسرته الحكم علي نفس النهج الذي سار عليه خلفاء الشيخ عثمان ، ولم يحاول أحمدو لوبو توثيق العلاقات مع القوي المجاورة ، خصوصا اتباع الطريقة البكائية أو الخلافة في سوكوتو ، وظل حتي نهاية دولته مستقلا في شتونه ، الخاصة ، بل ودخل اتباعه وخلفاؤه في صراع مع زعيم الطريقة التيجانية الحاج عمر الذي احتك بقواته . وانتهي الأمر بالقضاء علي هذه الدولة..

١٧- Brown, WA.: Op. cit . pp.

Brown , W.A . Op. cit. pp.١١٦-١١٧

١٨- Ajayi and Crowder M . History of west Africa , VOL. II, P.١٥

١٩- شاع بين المسلمين علي مر العصور أنه لابد وأن يأتي آخر الزمان رجل من أهل البيت يظهر العدل ، ويؤيد الدين ، ويستولي علي الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ، ويسمي بالمهدي ، ثم يكون خروج الدجال علي أثره ، وان عيسي ابن مريم ينزل بعده فيقتل الدجال ويأتي بالمهدي في صلاته وأما الشيعة فيعتقدون أن المهدي ظهر في أواخر القرن الثالث الهجري في شخص محمد بن الخالص الهادي ، وهو آخر ائمتهم الاثني عشر ، ويزعمون أنه دخل السرداب في دار ابنه ، وامه تنظر إليه فلم يعد إليها ، ويعتقدون أنه مازال حيا ، وأنه لابد من ظهوره بعلامات خاصة في آخر الزمان . وقد ظل الشيعة في عهد الإمام علي والحسن والحسين فرقة واحدة ولكن بعد وفاة الحسين ابن علي حدث أول انقسام في صفوف الشيعة ، اذا قالت جماعة بإمامة علي ابن الحسين بينما قالت جماعة بأمامة ابن الحنفية إماماً رابعاً لهم واسبغ عليه المختار الثقفي فكرة المهدية بعد وفاته ، وعرف هؤلاء بالكيسانية .

وبعد وفاة الإمام علي بن الحسين قالت الشيعة الإمامية ، بإمامة ابنه محمد الباقر في حين قالت جماعة بإمامة زيد بن علي ، واشتهر هؤلاء بالزيدية وبعد وفاة الإمام محمد الباقر اتفقت الإمامية علي إمامة ابنه جعفر الصادق ، وبعد وفاة جعفر الصادق قالت أكثرية الشيعة بإمامة ابنه موسي الكاظم ، في حين قال بعضهم بإمامة ابنه عبد الله الملقب بإسماعيل واشتهر هؤلاء بالإسماعيلية .

وبعد وفاة الإمام موسي الكاظم قالت الشيعة الإمامية بإمامة ولده علي الرضا ، وباستثناء بعض الذين توقفوا بالإمامة عند الإمام موسي الكاظم وسموا بالواقفية واطلق علي الفرقة التي استمرت بالإمامة إلي الإمام الثاني عشر وهو الإمام المهدي المنتظر الشيعة الإمامية أو الانثي عشرية .

وعلي هذا فالانثي عشرية تستند علي اثني عشر إماماً آخرهم محمد بن الحسن (المهدي المنتظر)

انظر : حسن عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص ٣١١.

وايضاً : عبد اللطيف محمد العبد : الملل والنحل للشهر ستاني (٤٧٩- ٥٤٨ ه) الطبعة الأولي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٧م .

وأيضاً : محمد عبد الكريم غنام: النظرية السياسية المعاصرة للشيعة الإمامية الأثني عشرية ، الأردن ١٩٨٧م ص ٣١- ٣٢.

٢٠-

BA AND DAGET : OP. CIT , P.٣٢ -٢١

Ajai and crowder :Op. cit,p.١٦ -٢٢

age ,J.D: Ahistory of Africa , London , ١٩٧٨, p.٢٠٩. -٢٣

بعد نجاح الشيخ عثمان بن فودي ، اعتزل الحياة السياسية في عام ١٨٠٩ م واستقر في مدينة سيفاوا ، قسم الدولة إلي قسمين : أحدهما شرقي ، صارت سوكوتو عاصمة له ويحكمة ابنه محمد بلو، والآخر غربي صارت مدينة جواندو عاصمة له ويحكمه الشيخ عبدالله بن فودي الأخ الأصغر لعثمان ، واستمر الوضع على هذا الحال حتى سقوط الخلافة في أيدي البريطانيين في عام ١٩٠٣م .

٢٤- عبد الله عبد الرازق ابراهيم : الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجريا ، ص

Brown . W.A: OP.cit .١٤٠. -٢٥

Trimingham ,J.S The sufi orders in IsIam , oxford ١٩٧١ P .١٦ -٢٦

AL nagar , Umar : the Pilgrimage Tradition im west Africa -٢٧

Khartoum ١٩٧٢, P. ٥١ -٢٨

Trimingham J.S. :OP.cit P . ٨٤ -٢٩

Hargreaves , J.D. : France and west Africa .p١٢٣.

Dubois Fi : Tombouctou La Mysterieuse , paris . ١٨٩٩ ,p. ١٥٤

٣٠- كانت الأصداف اكثر العملات شيوعاً في غرب إفريقيا ، وكانت تأتي من الهند حيث استخدمت في أفغانستان وبلاد فارس ، واستخدمها سكان السودان الغربي في معاملاتهم التجارية ، وقدرها الرحالة بارث بما يعادي ١٢٥٠٠ صدفة لكل جنيه إسترليني .

٣١- Barth H . Travels and Discoveries in North and central Africa , Vol . III , P. ٣٩٥

٣٢- Johnston , Marion : Economic Foundations of an Islamic Theocracy , Journal of African History , XVII (١٩٧٦),PP . Hiskett , ٤٨١-٤٩٥

٣٣- M : Material to Cowry currency of the western Sudan , Journal of the school of African and oriental studies, vol .٢٩, (١-٣) ١٩٦٦ PP. ١٢٣-١٢٨ .

٣٤- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٣٩٤.

٣٥- إن فكرة المهدية تضرب في جذورها إلي فترة الحرب الأهلية التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشيدين في عام ٣٥ ه (٦٥٦) وقد عرفت هذه الحادثة باسم الفتنة الكبري ، وصارت فكرة المهدية تدور حول المهدي الذي سيأتي في آخر الزمان لكي يعود بالمسلمين إلي طريق الحق بعد أن تكون الأرض قد امتلات ظلماً وجوراً ، فيقيم دولة مترامية الأطراف ، ويخضع لسلطانها العرب والعجم ، ويقيم العدل بعد هذه الفترة من الظلم والفساد .

د. عبد الله عبد الرازق ابراهيم : الحركة المهدية ، ضمن كتاب تاريخ العرب الحديث إعداد فريق من أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ بجامعة قطر .

٣٦- الدوحة ، الناشر مكتبة العلي ١٩٩٠م ، ص ٣٢٧.

٣٧- Trimingham , J.s Op Cit. ١٨٠. .

٣٨- Brown W . A : OP.Cit . ١٥١.

٣٩- Manteil ,c. Les Bambaras . P. ٣٤٤.

٤٠- Mage, voyage dans lesouden , P. ٣٨٥

٤١- انظر خريطة شكل رقم (٣)

٤٢- Mage :OP. Cit . ٢٥٨.

انظر شكل رقم (٤) عن إمبراطورية الحاج عمر .

يري ديبوا أن أحمدو الثالث رفض الخضوع للحاج عمر وقتل نفسه ، قال لأصدقائه بأن يبلغوا قوات التوكولور بأنه قد مات متأثراً بجراحه ، ولم يتوقف عمر عند هذا الحد بل أنه ذبح ثمانية من أسرة أحمدو الثالث وتمكن اثنان من ابناء عمه الفرار من المذبحة ، وكان أحمد هذين الرجلين أحمد عبد الله الذي رجع إلي شرق الوادي وصار رئيساً لإقليم صغير وهو فويو .

٤٣- انظر : Debois :OP.Cit. , P. ١٣٩

٤٤- Depont , O and Coppoloni ,X : Les Confreies Religieuses Musulmanes, Alger , ١٨٩٧, PP. ٤٤٧ - ٤١٨ .

Wilis , John Ralf : OP. Cit .P. ٥٨.

٤٥- لمزيد من الدراسة عن دور الطرق الصوفية انظر :

عبد الله عبد الرازق أضواء علي الطرق الصوفية في إفريقيا ، القـــاهرة ، ١٩٩٠م

عبد الله عبد الرازق ابراهيم : اضواء علي الطرق الصوفية ص ٦٠-٦٥

٤٦- قامت سلسلة عالم المعرفة بنشر هذه الدراسة .

عبد الله عبد الرازق ابراهيم : المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، العدد ١٣٩، يونيو ١٩٨٩م .

عن دور الأزهر في افريقيا انظر :

شوقس الجمل : دور الأزهر في إفريقيا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨ م .